طفل العام الجديد

« الى زوجتي التي تتمنى طفلا منـــذسنوات .. بعد ان مات كل اطفالنا .. ولم يبق لها الا ذلك الامل الحزين الشاحب تسمع به انباء اجراس الميلاد .. وتلقف منها بروحهاالخائفة صيحة طفلها المرتقب في دعـــاء اجراس الميلاد ... »

لا تبـــك حزنا يا زوجـــي
لم أقتل.. يوما .. اطفالك ..
لم اقتل طفلتنا .. ناديه ..
في ليلة ريـح .. شتويـــه
وأنا أذرع كـــل طـــريق
وأنا أسأل كـــل .. رفيـــق .
عن ثمن دواء يشفيهـــا ..
قد كانت تلهث في دمتي
وأنا أجري .. .. بين الطرقات
وأدق الابـــواب السوداء ..
لكني عدت بغير ... دواء...
لأرى .. طفلتنا قد ماتـــت ..
لا .. تبكي حزنا يا زوجي ..
لم أقتل .. يوما اطفـالك ..
ماتت والناس .. يموتـــون ..
وفراشات الحقل تمـــوت ..
وملايين الناس .. بلحظه ..
تتحشرج .. في نفَس واحد..
وتعود الشمس كما بدأت ...
لتدق نواقيـــس النـــور
فوق الدور
وتغني ميـــلاد الازهـــار ..
وتخط .. على الدنيا كلمه..
لفظا آخر .. أشرف كلمـــه..
طفلا ... يولد ..
وتغني .. في الحقل..فراشه..

✶✶✶

لا تبكي .. حزنا .. يا نانا ..
يا زوجي .. وخميلة عمري ..
اني لأراهـــم بعيونـــك ...
أطفالا .. في غدنا الاخضر ...
ودبيب خطاهم .. اسمعها ..
خافتة .. في صمت عيونك ..
سنعيش ونفرح بالاطفال ...
يأتـــون بأفراح الانســانْ ..
بأغاني الميـــلاد الاولْ ...
في أول اعياد الشمس ..
في أول فجر للدنيـــا ..
رفصت فيه أول زهـــره ..
وشـــــدا منه أول .. راعٍ ..

✶✶✶

ولكم أمسيه .. يا نـــانـــا ..
أصغي لعيونك لهفانـــــا..
وأنا .. غاف .. بين يديك..
والليل بكفينا .. غـــاف ..
فيجيء صدى..خافٍ..خافٍ..
كصدى الاجراس المجهولـــه.
يسمعها رهبان .. تاهـــوا ..
في الليل .. بأعماق الصحراء
فأنادي : من دق الاجراس ..؟
وأضاء شمـــوع الميـــلاد ..؟
بدموعي .. قبل الميـــلاد ..
فأرى بعيونك يا نانـــا ..
يا زوجي .. وخميلة عمري ..
اطفالا تمشي .. في الفجـــر .
بأياديهم .. فرح الزهـــر ..
ويدا .. ألمحها .. في غيمه
تهتز . . كايماءة نجمـــه ..
يد طفلي من أفق الغيـــبِ ..
(أنا سار .. نحوك يا أبتـــي..
أنا طفلك .. فافتح لي بابك ..
وافرش لي بالفرحة..بيتي ..
واسمع طرقاتي .. يا أبتي .
خطفات .. في مهجة أمي..)

✶✶✶

لا تبكي .. حزنا .. يا نانا ..
ما دامت تحيين بثينـــه ...
بنت الجاره
وتحيين صراخ الاطفـالْ ..
حتى..لو.. عاشوا في أهوال..
ومشوا .. في العاصفة عرايا ..
واحترقوا ..في الحرب..ضحايا..
فغدا .. سيكون لنا طفل ..
ويعانق أيكتنا .. ظـــل ..

✶✶✶

ولكم أمسيه يا نانـــا ..
شاهدت .. هناك ـ بعينيك ..
والليل بمنعطف الفجـر ..
شاهدت معانـيَ لا توصف
الا بمدامع موسيقـــار ..
ليذيب الليل .. على الاوتار ..
شاهدت نســـاء تتوجعْ ..
وشفاه ..تكالى .. لم ترضع ..
يوما .. طفلا ..
فأقوم .. وأنهل من كأسي ..
كي اهرب ..اهرب..من نفسي..
وأعود .. أغني .. يا نانا ..
أغنيةً .. من عهد صبانـــا ..
لكني .. ألمـح عينيـــك ..
تشقيني .. دوما .. عينـاك ..
أقسم بدموعك .. يا نـــانا
وأنا ما كنت .. بمخمور ..
شاهدت .. وجوها لثكالـى ..
تجري .. كي تنقذ اطفـــالا
من بيـــن أكف النيـران ..
فيعدن .. بأيديهن .. رمـاد ..
هل كنت بلحظتها احلـــم .؟
لا .. أعرف.. ألا .. يا زوجي
أني . في ليلي .. أتألم .
لكنـي اطرد في نفســـي .
وجل المتشائـم .. في حسي .
وأضمك .. هلعا .. يا نانا .
وأقوم وأفتـح .. نافذتـــي ..
وأرى خيط الفجر الاول ..
وأعب النسمات الجذلـى ..
نسمات الفجر العذريه ..
فأحس بأعماقي تطهـــرْ .
وأحس بأحزاني تبصـــر .
ودموع شبابي .. تستبشر .
وأحس الفجر .. على ثغري ..
ينطق بسمه ...
وأقول تعاليْ .. يا نانـــا ..
كي نقطف من حقل النورِ ..
زهرات الامل البيضـــاءْ ..

ففدا .. سيجيء لنا .. طفل ..
ويعانق أيكتنا .. ظل ..
فأراها أغفت في المقعد .
اغفاءة عصفور .. مجهد .

***

نامي .. يا .. ثكلى .. في ليلي
فوليدك يجري .. في ظلي .
وغدا .. سيعيش كمن .. عاشوا ..
ويصيح ليوقظنا ليلا ..
ويحطم .. كل أوانينا ..
لك حق الانثى .. أن تحنو ..
في الليل على طفل .. ساهر .
ترضعه .. وهي الجوعانه .
والريح تدق بلا رحمه .
نافذة البيت المكسوره ....
فتهب حياة .. مذعوره ..
وتمد ذراعا .. وهنانه ..
كي تدفىء بالحب وليدا ..
والبرد .. يشل .. انامله ..
كي تنسج .. في المهد نشيدا ..
فينام بكلته ترنيمه ..
والانثى .. تسهر .. محمومه !

***

لك حق الانثى ان تشقى ....
وبعينيها .. همسة شكر ..
همسة دمعه ..
لو .. جف بليل .. ثدياها ..؟
وصحا المولود .. وناداها ؟
من يفهم .. تلك التنهيده ؟
لو جعلت هدهدة سريره ..
رعشات .. من بدن .. مقرور ..
والريح تدق .. بلا .. رحمه
نافذة البيت .. المكسوره ..

***

سنوات .. خمس .. نقضيها .
فلقا .. وعذابا .. نقضيها ..
نترقب .. طفلا .. يأتينا ..
ويعيش لنا موعد قبله ..
ما بين .. جفون . مخضله ..
بندى .. دمعات ... فرحانه
كم .. مر نهار ... في داري
كي نسمع اطفال الجار ..
يلهون .. على اعلى السلم ..

وأراك تناغين الاطفال ..
والطفل .. يناديك : ماما
ونردين عليه : ابني ..
وهنا تشقيني عيناك ..
وأرى اطلالة نهديك ..
من بين جفونك يا نانا
كي ترضع اطفال الجيران ..
كي ترضع كل الاطفال ..
بل ترضع كل الاشياء ..
وشفاه جميع الازهار ..
الحب .. وأفراح الانسان ..

***

لا تبكي حزنا يا زوجي ..
لن اقتل يوما .. اطفالك ..
من اجل دواء .. لا اجده ..
اني اتفاءل بالانسان ..
وبغده .. في فجر السلم ..
وبحق أمومة عينيك .
وسخاء الارض بما تعطي ..
وباسم البذرة في الطين ..
وبحق الدودة .. في صخره ..
سيعيش بمنزلنا طفل ..
ويعانق أيكتنا .. ظل
وبحق العصفور الاعمى ..
لو نبتت اهداب جفونه ..
ريشا .. بجناح .. يحمله ..
ليطير .. مع الطير .. المبصر ..
ويطير .. بعين النسمات ..
ويحلق فوق الربوات ..
ويعود الى العش مساء ..
ويغطي الاعشاش .. غناء ..
سيعيش بمنزلنا .. طفل ..
اني أتفاءل يا نانا ..
وأصيخ الى بذر الكرمه ..
كي أسمع اغنية الندمان ..
وليالي السمّار الحلوه ..
وحفيف القبلة فوق شفاه ..
والكرمة لم تزرع .. بعد ..
أو يورق .. حوليها الورد ..
وكذلك من ليل شتائي ..
وأنا أسمع وقع الامطار ..
أتملى سقسقة الانوار ..
استشرف افراح الآفاق ...

وأحس خطى الفجر النائي ..
في أحنائي ...
أتفاءل .. حبا .. يا نانا
وارى نجم الافق الغائم ...
رؤيا ... لصباحينا .. النائم
لكني .. اخشى .. يا زوجي
ان نصبح .. شيخين .. سويا
وبصحراء الثلج .. نعيش ...

***

ان نسرق .. في الظلمة .. قبله
نسرقها .. من عين .. الموت
قد تخجل ... يوما .. عينانا
ان تنظر طيرين ... اعتنقا ..
فاذا قلبك يخفق ... فرقا ..
واذا قلبي .. يخفق .. قلقا ..
اذ .. نبصر خلف الصحراء ...
خلف الاسوار الثلجيه ..
قبرينا .. من غير زهور ..
نبتت .. فيه .. بعض الاشواك ...
لكني .. أقسم ... يا زوجي ..
لو ذبلت يوما .. شفتانا ..
وانطفأت ليلا .. عيناتا ..
وارتجفت .. بردا .. كفانا
سأناديك دوما : نانا .
واموت اتمتم .. : يا نانا

***

قضيت شبابي .. يا ولدي ..
أبكي .. أتألم .. أتمزق ..
قضيت حياتي مغتربا ..
بصداي .. عن الوتر العازف ..
انا ملاح الليل الخائف ..
كم أعبر ليلي .. في غنوه ..
فيضيع الشاطىء عن عيني ..
وأنا أمسكه .. في لحني !! ..
ولدته أم قديسه ..
وأبوه ربان ساخر ..
لا يؤمن الا .. بالريح ..
ولداه .. ليلا .. بسفينه ..
ليحن الى الشط .. حنينه ..
ويرى منزله .. في ربوه ..
من خلف غمامات البحر ...
لكنّ .. اكف الاعصار ..

تدفعه .. في البحر وحيدا ..
ليعيش ..عن الناس ..بعيدا..
فتشهى .. رائحة الاعشاب ..
أعشاب الغاب المجهوله ..
في جسد امرأة سمراء ..
تتحمم بالخمر الساخنْ ..
لكن .. لم تفهم اشعاره ..
او تفهم يوما ... آلامه
والدمع .. بعينيه .. ساخنْ ..
بل جعلت تسخر من دمعه ..
بل تبصق ..اثما . في نبعه ..
ولذلك عاد الى الوحده ..
لعباب الليل المتلاطمْ ..
ليعيش بمهجته .. موجه ..
لو مرت .. بالبحر .. حمامه ..
يهتز .. لنبض جناحيها ..
بل يسمع دقات الارض ..
وأغاني الناس المطوله ..
بندى الفجر ..
لكنَّ الام القديسه ..
بمدامعها ..
وأبوه الملاح الساخر ..
في قهقهته ..
بدماه .. عاشا . .دوائمه ..
لا يعرف غايته منها ..
الا.. ان يهرب .. للناس ..
وبكل حنان الصوفيه ..
غنى لجموع البشريه ..
ومشى للناس .. بايمانه ..
قد كان كمن يهرب فيهم ..
نحو الغايه ..
كم اغرق فيهم احساسه ..
حتى لا .. يسمع انفاسه ..
تتهدج بالألم الطاغي ..
الم الانسان .. بلا .. غايه ..
واطل بأجفان الغير ..
ورأى شمس الصبح .. جديده ..
وأحس شجاعتهم تحدوه ..
للركب الانساني الاعظم ..

***

وكذلك .. قصة ايامي ..
يا ولدي .. فافهم آلامي ..
واذكر لو طفت على قبري ..
أن تزرع سوسنةً بيضاء ..
وتتمتم : يرحمه الله ..
ما عشش في الدفء .. صباه ..
ميراثك .. ماذا .. يا ولدي ..
الا .. ديوان .. من .. شعري !
فاحفظه ... ورتل أشعاره ..
فدموعي .. فيه تتوهج ..
يا طفل العام المرتقب ..

***

أشرق .. بجبينك .. في سحبي ..
بدموعي كف .. ممدوده ...
لتصافح .. قبضتك البضه ..
قبضة عمري ..
وبحق مدامع ابويك ...
ان تأتي .. كي تسعد أمك ..
فالدمع .. بعينيها .. نظره ..
ترقب .. وجهك ..
لو تكبر .. قبلْ كفيها ..
والثم بشفاهك .. عينيها ..
قد كانت .. أمك فنانه ..
اذ رسمت .. صورتك الحلوه ..
في عينيها ..
دمعة فرحه ..

***

يا زوجي الاجراس تنادي ...
ان نفرح .. ما دمنا احياء ..
وغدا .. سأراه هنا .. طفلي ..
يقرأ لي .. في الليل قصيده ..
(بدموعي .. كف .. ممدوده .)
(لتصافح .. قبضتك .. البضه)
لكني .. عدت .. بغير .. دواء ..
(قبضة عمري)
وستكبر قبضته يوما ..
كي تنزع دوحة اشواك ..
في روضتنا ..
فابتسمي .. ابتسمي .. يا نانا ..
وأريقي النـــور .. بدنيانا ..
واعتذري .. اعتذري .. في قبله ..
عن لفظ دمدم مـــن سنتين :
(طلقني .. قاتل أطفالي)
أقسم لم أقتل .. أطفالك ..
اذ ... ماتت طفلتنا .. ناديه
في ليلة .. ريح شتويه
وأنا اذرع كل طريق
وأنا .. أسأل .. كل صديق
عن ثمن دواء .. يشفيها
لأرى (ناديه) بنتي .. ماتت ..
وتجمد عمري في لفظه ...
ماتت .. ماتت ..
لا .. تبكي حزنا .. يا نانا
ما أروع مقدرة التعساء ...
لو نسجوا.. خيط الدمع .. عزاء .
فيجف الدمع .. مع النسمات ..
ولنفرض يوما .. يا نانا ..
لو يولد طفلا .. شريرا .
ويعيش .. طريدا . سكيرا ..
أفلم يقتل رجل أمه ؟
أو يعشق أنثى .. وثنيه ..
ويعذب .. كفرا .. أبويه ..
وتجوع الام .. وينساها ..
وهنالك .. تحيا .. صفصافه
من ..غير غصون .. هفهافه ..
لترى ادمعها .. في النهر ..
وتسر الى النسمة : مري ..
فلرب عبير من .. من روحي ..
يذكرني الآن .. مع الريح ..
وينام بأحضاني ليله ..
أو يمنح .. اجفاني .. قبله ..
اجفاني .. من غير الهدب ..
من يذكر أما .. مهجوره ؟
من يذكر .. دوحا .. في الجدب .؟؟

***

لكن .. والفجر .. يدق الباب ..
فلنفتح .. للنـــور الابـواب ...
الفجر .. بمنزلنا .. ضيف ..
لا بد نحييه ـ بسلام ..
ونحيي افراح الانسان
وغدا ... سيجيء .. لنا طفل
ويعانق ايكتنا .. ظـــل ..

القاهرة — **محمد الجيار**